

## مضامين انبعاث الشيعة في العراق اقليميا

المصدر : فصلية الواشنطن

ترجمة : مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

إصدار: صيف عام ٢٠٠٤

## بسم الله الرحمن الرحيم

فيما يلي ترجمة لدراسة منشورة من قبل مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية المعبر عن مصالح الشركات النفطية وذات الصوت المسموع من قبل صناعات القرار في واشنطن تركز فيها على ضرورة إحتواء المد الوهابى المتطرف والحاضن للخط التكفيرى عن طريق دعم وتقوية الخط الشيعى فى المنطقة.

وقد تم وضع أهم الأفكار الواردة فى هذه الدراسة فى مستطيلات منفصلة وبحروف بارزة لتسهيل المراجعة السريعة للذين يعانون من ضيق الوقت.

ان المعانات الطائفية العراقية معقدة، فان استرجاع الشيعة لسلطتهم سوف يمتد قطعاً الى خارج حدود العراق شاملاً حدود الاقليم من لبنان الى باكستان

ان التغيير فى ميزان القوى سيشكل التصورات العامة لسياسات الولايات المتحدة فى العراق مثلما شكل ميزان القوى طويل الامد القائم بين الشيعة والسنة اساس السياسات من لبنان الى باكستان

كما ويحتمل ان يكون لتغيير توازن القوى الطائفي تأثيراً على سياسات الشرق الاوسط الكبير ابعده بكثير من صراع القوى الانى، ومن جهد أي حكومة معتدله وتقدمية محتملة فى بغداد

لقد اصبحت المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط الكبير مرتبطة بشكل كبير بالمخاطر والفرص التي ستنشأ من انبعاث الشيعة فى العراق

وبتعبير آخر، ان انبعاث الشيعة والاحساس فى قوة السنة فى العراق لم يولد الميليشيات السنية ولكنه عززها ووسع حركاتها

وبعيداً عن العراق فان مصالح الولايات المتحدة واهدافها فى الشرق الاوسط الكبير مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمد والجزر فى الصراع السني- الشيعى على السلطة. وينبغي ان يستجيب صناعات السياسة لهذه الحقيقة وذلك بالاستجابة الى كلاً من الخوف الناشئ من اقضاء السنة واحياء الشيعة فى العراق من جهة واستكشاف نتائج نمو قوة الشيعة فى المنطقة من جهة اخرى

ان الصراع السني- الشيعى على روح الاسلام ومركزه نراه واضحاً منذ بدايات العهد الاسلامى والذي عاد الى الواجهة فى اواخر القرن العشرين عن طريق المملكة العربية السعودية التي ادعت

حقها في حكم الاسلام والمسلمين حكماً سنياً مشابهاً للدور الذي كان موجوداً في الخلافة السنية وهي تحكم من دمشق الى بغداد

ان الاعتداءات السنية على الشيعة مدعومه مباشرة من المملكة العربية السعودية، والوهابيين وشبكة الارهابيين المرتبطة بهما خاصة في افغانستان وباكستان

ان الوهابية هي مدرسة متعصبة ضمن المذهب السني والتي لها تفسير ضيق ومتشدد للاسلام ويعتبرون كل من لا يفسر الاسلام وفق مفاهيمهم كافراً وخصوصاً الشيعة منهم ومنذ السبعينات وعندما استفادة السعودية من ارتفاع عائدات النفط قام قادة رجال الدين السعوديون بتصدير وجهة نظرهم في الاسلام بدعم من المنظمات الاسلامية المختلفة ونشاطاتهم في العالم الاسلامي، واصبح لها تاثير كبير واضحاً في جنوب اسيا اذ كانت التمويلات السعودية تدعم المقاتلين الافغان ضد السوفيات الذين كانوا يحتلون افغانستان والتي انتجت البنية التحتية لشبكة الميليشيات العسكرية السنية التي نشطت في طالبان والقاعدة والجماعات الجهادية الباكستانية

ان العداء الطائفي ضد الشيعة هو احد الابعاد المهمة للاهداف السياسية لطالبان والقاعدة والذيلقى بظلاله المعتمة على حربهم ضد الغرب

نشأت الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر وهي تسيطر على معتقدات السعودية وامارات الخليج الساحلي. ان عدائهم للشيعة قديم قدم تاسيس هذا المذهب

ان معادات الوهابية للشيعة كانت موافقة تماماً لسياسة السعودية في المنطقة لكي تحتوي الثورة في ايران ١٩٨٠

وقامت الرياض بدعم نظام صدام اثناء الحرب على ايران واستمروا في الدعم حتى غزا العراق الكويت عام ١٩٩٠. وحتى بعد تحرير الكويت قامت السعودية باقناع واشنطن بالتوقف عن دعم انتفاضة الشيعة عام ١٩٩٨ ضد نظام في جنوب العراق وطلبوا منهم دعم الحكم السني في بغداد

وفي لبنان دعمت السعودية السنة لاعادتهم الى الصدارة وذلك من خلال حكومة رفيق الحريري ولازالت تدعم وبقوة المؤسسات السنية في بيروت الى اليوم

ان انتشار التطرف الاسلامي في وسط آسيا والقوقاز في التسعينات من القرن الماضي لم ياتي عن

طريق ايران بل عن طريق السياسة السعودية لاحتواء ايران في المنطقة. وليس هذا مشروعاً اسلامياً بقدر ما هو مشروعاً سنياً بحتاً، لذلك فليس من المحتمل ان الميليشيات السنية تبقى مكتوفة الايدي بخصوص التوازن الطائفي في العراق

ان التمويل السعودي للميليشيات السنية لم يثر اهتماماً كبيراً في الغرب بل العكس فقد كان الغرب يعتبر ايران والميليشيات المرتبطة بها هي الوجه الخطر الاكبر للاسلام الذي يهدد مصالحها

ان ازمة الرهائن في ايران عام ١٩٧٩ وتفجيرات مقر المارنز والقوات الفرنسية في لبنان واخذ عدد من الرهائن الامريكان والاوربيين في لبنان كذلك خلال الثمانينيات ودعم ايران للارهاب خلال هذه الفترة ايضاً ومعظم التسعينات كل هذا قد ركز اهتمام الغرب على ايران والميليشيات الشيعية وبذلك اقترن اسم الشيعة بالمعاداة للامركة وبالثورة ، والارهاب، واخذ الرهائن، والعمليات الانتحارية

وبالمقارنة ، ظهرت النشاطات الاسلامية السنية اقل تهديداً. لذا نظر الغرب اليهم باعتبارهم اكثر تحفظاً اجتماعياً وسياسياً مع افتقارهم الى المبادئ الدينية التي توازي اندفاع الميليشيات الشيعية. وخلال الثمانينيات بدا الغرب اكثر تساهلاً مع النشاطات السنية بصورة عامة وكذلك مع انتشار الحركات داخل افغانستان بإمرة طالبان وعبر وسط آسيا

بعد وفاة خميني عام ١٩٨٨ توقفت الميليشيات الشيعية عن كونها القوة الايدلوجية التي طبعت النشاط الاسلامي بطابعها. وبدلاً من ذلك اخذت الميليشيات السنية هذا الدور بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ التي ادخلت الولايات المتحدة بصراع مباشر مع بلد عربي واسست حضوراً عسكرياً امريكياً في المنطقة وخصوصاً في العربية السعودية وقرب الاماكن المقدسة للمسلمين في مكة والمدينة

وهكذا بدا ان تهديد المصالح الغربية انبثق مع انتشار التشيع عقب الثورة الايرانية، لذا كان الغرب بطيئاً في ادراك التغيير الحاصل في المد الاسلامي ونمو شبكة الميليشيات السنية والتي وان كانت قد أسست لاحتواء النشاط الشيعي الا انها بدأت بالتحول الى تعصب تجاه الغرب

ان نمو ظهور الشيعة في العراق واضح تماماً في تشكيلة مجلس الحكم وما (الفيتو) الذي اتخذه ، فيما بعد، آية الله علي السيستاني على محاضر جلساته الا دليلاً اضافياً على هذا التغيير الكبير

منذ ازاحة الولايات المتحدة صدام عن السلطة قام المرجع الكبير السيد علي السيستاني وبالحاح،

بالضغط على الولايات المتحدة لاجراء انتخابات في العراق لضمان سيطرة الشيعة على العراق  
ولاول مرة منذ عهد الامبراطورية العثمانية السنية في بغداد عام ١٥٣٣، وعلى الرغم من ان  
شيعة العراق لايتكلمون بصوت واحد فان السياسيين الشيعة، وثقافتهم وقيمهم الدينية اكثر من تلك  
التي عند سكان العراق من السنة والكرد وهذا ما سيشكل مستقبل العراق

سيكون العراق البلد العربي الاول الذي يصبح شيعياً بشكل مفتوح من بين كل البلدان العربية

ان الانتقال من سيطرة السنة الى سيطرة الشيعة وتحت وصاية الولايات المتحدة له دلالة ذات  
مغزى

ان السيطرة السياسية للشيعة على عراق اليوم من قبل العلماء يعني ان انبعاث الشيعة في هذا  
البلد سيؤدي الى تغير ثقافة البلد ومكانة الدين فيه مما قد يؤدي الى احتقان في العلاقات بين  
الشيعة والسنة داخل العراق كما في المنطقة ككل

ان انبعاث الشيعة في العراق له تاثير اقليمي واسع ليس على التطور السياسي في العراق فحسب  
بل على مستقبل التطور الطائفي في الشرق الاوسط الكبير ليميل ميزان القوى لصالح الشيعة

ان فتح العراق والتغيير التدريجي في ايران سيقوي الروابط مع مركزي قم والنجف ، حيث ان  
رياح التغيير في المنطقة التي تعد بها الحملة في العراق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بياس المجتمعات  
الشيعة وتنظيماتها

وكذلك من الدلالات الواضحة على تزايد بروز الشيعة عبر الشرق الاوسط بعد تغيير النظام في  
العراق هي دعوة ولي العهد السعودي الامير عبد الله في صيف ٢٠٠٣ لتجمع علماء السعودية  
للمبحث عن ارضية مشتركة بين القادة الدينيين الوهابيين والشيعة في المملكة

في السنوات القادمة ستتاح للشيعة الفرصة أكثر من أي وقت مضى من التاريخ  
الحديث ليعودوا قوة إقليمية مرة ثانية

بالنسبة للمليشيات السنية ، يعتبر انبعاث الشيعة في العراق دليل على مقاصد الولايات المتحدة  
الشريرة تجاه الاسلام بعد احداث ١١/ايلول/ ٢٠٠١ -المؤامرة الكبرى لاضعاف واخضاع

المؤمنين. ولهذا الغرض سحبت الولايات المتحدة العراق من ايدي الاسلام ( الحق ) وسلمته الى الشيعة الرافضة

ان انبعاث الشيعة في العراق عرض للخطر المصلحة الامريكية في استقرار المملكة السعودية حيث لا يمكن للرياض ان تدعي لنفسها- بعد الان حمايتها للسيطرة السنوية في الشرق الاوسط لانها تشهد هبوطاً في شرعيتها الدينية ضمن المملكة مثلما عبر المنطقة

ان انبعاث الشيعة في العراق غير من ميزان القوى بين السنة والشيعة ويغذي طلبات حقوق الشيعة من جهة كما يغذي احباطات السنة ونشاطاتهم من جهة اخرى اكثر من احرازه للديمقراطية والازدهار الذي قد يشجع على تغييرات في انظمة اخرى في المنطقة

اليوم تشكل الميليشيات السنوية والنشاطات الوهابية وليست الثورة الشيعية الخطر الاكبر على المصالح الامريكية في مناطق مثل اذربيجان حيث يتواجد الشيعة والسنة، يقوم المسلحون السنة بادارة العنف وايدولوجية القوة ليس ضد الشيعة فقط بل ضد الامريكان ايضاً. من بالي ( اندنوسيا ) الى بغداد شبكة نشاطات تشكل اخطر اشكال الارهاب

من الامور المهمة الحديث عن السكان الشيعة في الشرق الاوسط وجنوب اسيا وظهورهم على انهم الحلفاء الطبيعيون للولايات المتحدة في جهودها لاحتواء الميليشيات السنوية

ولكن لازالت الولايات المتحدة لاتستطيع احتضان انبعاث الشيعة بصراحة دون اغضاب الكثيرين في العالم العربي، وخصوصاً اولئك الاكثر معادات للشيعة من الدول الوهابية في شبه الجزيرة العربية والخليج مثل الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة، حيث تكمن حالياً مصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية المهمة

هذا من جانب ومن جانب اخر ليست الشيعة على استعداد لاحتضان الامريكان باعتبارهم منقذهم وحلفائهم

ان القوى الشيعية في العراق اليوم مثل مقتدى الصدر يتحالفون مع الاخرين ضد الولايات المتحدة

ان افتقار واشنطن للعلاقات مع قوى شيعية مهمة اخرى في المنطقة مثل الجمهورية الاسلامية في ايران وحزب الله في لبنان تضيف تعقيدات اخرى للترابط الشيعي الامريكى

ان الصراع الطائفي على السلطة سوف لن ينتهي في العراق، وان الولايات المتحدة لاتستطيع بسهولة اجتناب هذا الصراع المستمر مع عقدها تحالفات طويلة الامد مع العربية السعودية، والاهم دورها في تسهيل تقوية الشيعة في العراق

على صناع السياسة في واشنطن ان يتعاملوا مع الصراع الطائفي على السلطة بين الشيعة والسنة بصورة جدية لتجنب حرب اهلية في العراق وظهور الميليشيات السنية باعتبارها تهديداً جديداً في المنطقة

ادراك ان التوازن الشيعي- السني هو مفتاح استقرار المنطقة ومصالح الولايات المتحدة

ان ميزان القوى المتغير بين الشيعة والسنة سيكون امراً مركزياً في النتائج السياسية ليس في العراق فقط بل في لبنان، افغانستان باكستان اذربيجان والعربية السعودية

وبناء عليه، ينبغي على الولايات المتحدة تنمية وتطوير سياسة خارجية ذات اطار يربط علاقاتها مع ايران ولبنان تبعاً لمصالحها في العراق والخليج وجنوب اسيا وتسخير نمو القوة الشيعية في المنطقة

تجنب المواجهة مع شيعة العراق والاكثر اهمية ، السيستاني

ومع ذلك فان النظر الى الشيعة وخصوصاً منهم الاصوات الاكثر اعتدالاً يحمل في طياته مخاطر اعظم كما هو الحال مع رجل الدين الاكثر اتباعاً السيستاني، فانه يحمل مفتاح الاستقرار في مجتمع الشيعة في العراق والاماكن الاخرى في الشرق الاوسط الكبير

ادراك ان البلدين الذين تسيطر عليهما الشيعة، ايران والعراق هما في وضع افضل لتحقيق نمو اقتصادي وديمقراطي من جيرانهما من البلدان السنية

لم تعد الشيعة تنتج الايديولوجيات السياسية التي تولدها البلدان السنية

في العراق، استفاد الشيعة من سقوط نظام صدام وهم الذين سيرثون النظام السياسي من سلطة الولايات المتحدة على الاغلب كما وانهم الاكثر احتمالاً للاستجابة للديمقراطية من السنة الذين تتزايد سياساتهم لرفض السيطرة الامريكية على العراق.

واكثر من ذلك، فان المناظرات الاكثر شمولية وحيوية عن مكانه الاسلام في عالم حديث وعلاقته بالنمو الديمقراطي والاقتصادي تجري بين المسلمين الشيعة وليس بين السنة (عدا ما يخص تركيا)

وفيما يخص مجمل المخاوف الحالية لصناع السياسة في الولايات المتحدة من انبعاث السيطرة الشيعة في العراق فان ما ينبغي فهمه هو ان هذه العملية ستنتج تقارب في المصالح بين الولايات المتحدة والشيعة اسرع مما يمكن ان تحدث بين الولايات المتحدة والبلدان السنية

ان الضرورة الحالية لاحتواء الميليشيات السنية، على كل حال، ينبغي ان تفوق الولايات المتحدة اكثر من أي ضرورة اخرى الى تصويب الموازنة بين سياستها في العراق ومصالحها الاعم في المنطقة



## فهرست المواضيع

- التراث الشيعى الاقليمى ..... ١١
- رد الفعل السنى ..... ١٣
- العربىة السعودىة والوهابىة ..... ١٥
- تحديات عراق شيعى ..... ١٨
- المضامين الاقليمىة ..... ٢٠
- تأثيرها على المصالح الامريكىة فى المنطقه ..... ٢٠
- المضامين السياسىة: القبول بالطائفىة ..... ٢٢

## مضامين انبعاث الشيعة في العراق

## اقليميا

بقلم (١) قالى نصر

منذ تغيير النظام حرمت قيادة الاقلية السنية من امتيازاتها التي حكمت العراق بها منذ استقلال البلاد عام ١٩٣٢ من جهة، وتعززت قوة الاغلبية الشيعية من جهة اخرى. لقد اصبح التنافس السني- الشيعي على السلطة العامل الاكبر والواحد المحدد للسلام والاستقرار في عراق ما بعد صدام. ان المعانات الطائفية العراقية معقدة، فان استرجاع الشيعة لسلطتهم سوف يمتد قطعاً الى خارج حدود العراق شاملاً حدود الاقليم من لبنان الى باكستان، ان التغيير فى ميزان القوى سيشكل التصورات العامة لسياسات الولايات المتحدة في العراق مثلما شكل ميزان القوى طويل الامد القائم بين الشيعة والسنة اساس السياسات من لبنان الى باكستان، كما ويحتمل ان يكون لتغيير توازن القوى الطائفي تأثيراً على سياسات الشرق الاوسط الكبير بعد بكثير من صراع القوى الانى، ومن جهد أي حكومة معتدلة وتقدمية محتملة في بغداد. لقد اصبحت المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط الكبير مرتبطة بشكل كبير بالمخاطر

١- قالى نصر: استاذ في سياسات الشرق

الاوسط وجنوب اسيا في قسم شؤون الامن

القومي في مدرسة البحرية العليا في مونتري،

كاليفورنيا ٢٠٠٤ من قبل مركز الدراسات

الاستراتيجية والدولية ومعهد ماساشيوستس

للتكنولوجيا. فصلية الواشنطن- صيف ٢٠٠٤.

والفرص التي ستنشأ من انبعاث الشيعة فى العراق.

ان التنافس على السلطة بين الشيعة والسنة لم يكن تطوراً جديداً ولا مقتصرأ على العراق فحسب ولكنه في الحقيقة اتخذ شكل تقاهمات وتحالفات حددت كيفية تصرف الاطراف المختلفة لرعاية مصالحها في المنطقة خلال العقود الثلاثة الماضية. ان نظرة شاملة على التحليلات السياسية لسياسات الشرق الاوسط الكبير غالباً، ما توصلنا الى ان هذا التنافس هو المفتاح لفهم كيف ان التطورات الحالية في العراق ستشغل المنطقة للسنوات القادمة. كما وترتبط الطائفية خلال هذه الفترة وبصورة وثيقة بايديولوجية الميليشيات الاسلامية العسكرية وفعاليتها بين السنة. ان الهوية هي جزء لا يتجزأ من اي وسياسة المجموعات الجهادية المرتبطة بالقاعدة ، طالبان، الميليشيا الوهابية وحركات الطوائف السلفية التي ظهرت في القرن الثامن عشر في العربية السعودية الحديثة والفصائل المتعددة للاخوان المسلمين، وهي المنظمة السنية التي ظهرت في مصر في العشرينات من القرن الماضي والتي رافقتها نهضة سياسية اسلامية وخصوصاً في العالم العربي. لم يكن العنف ضد الشيعة مجرد خطة

استراتيجية استعملت من قبل المنفذين للقاعدة امثال ابو مصعب الزرقاوي لخلق عدم الاستقرار في العراق ولافشال مخططات واشنطن لمستقبل البلد، بل انها جزء تاسيسياً من أيديولوجية الميليشيات السنية. ان العنف ضد الشيعة المنتشر في العراق اليوم قد نشأ

اولاً في جنوب اسيا وافغانستان في اعوام التسعينات من قبل المجموعات المسلحة المرتبطة بطالبان والقاعدة. ان الاشهر التسعة المنصرمة قد شهدت تفجيرات في بغداد، الاسكندرية، كربلاء، نجف ومعقل الشيعة الاخرى في العراق ادت الى ازهاق ارواح العديد منهم اوائل اذار عام ٢٠٠٤، كما قُتل حوالي ١٤٣ من الزوار في اقدس المواقع الشيعية في بغداد وكربلاء خلال ايام عاشوراء وهي من اقدس الايام في التقويم الشيعي، وتشبه هذه الهجمات كثيراً الهجمات التي طالت مشهد، كراچي، كويتا، مزار شريف منذ اوائل التسعينات ، لذا نقول ان التهديد الطائفي الحالي في العراق هو من نتاج صراع عميق الجذور في المنطقة اكثر مما هو نتيجة مباشرة للتطورات الاخيرة في العراق. وبتعبير آخر، ان انبعاث الشيعة والانحسار في قوة السنة في العراق لم يولد الميليشيات السننية ولكنه عززها ووسع حركاتها. ان بروز هذه الميليشيات في واجهة المعارضة ضد الامريكان في عراق اليوم بهذا الشكل من المحتمل ان يوسع العداء للامريكان متزامناً مع التوتر الطائفي. في يوم تفجيرات مسيرة عاشوراء الماضي اتهم رجل دين وهابي كويتي على موقعه على الانترنت شعائر الشيعة واصفاً اياها بانها " اكبر عرض للوثنية" ومتهماً الشيعة بانهم يشكلون " محور الشر المرتبط بواشنطن، تل ابيب، ومدينة النجف المقدسة" للسيطرة على نفط الخليج الفارسي وحرمان السنة منه.

وبعيداً عن العراق فان مصالح الولايات المتحدة واهدافها في الشرق الاوسط الكبير مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمد والجزر في الصراع السننى- الشيعي على السلطة. وينبغي ان يستجيب صناع السياسة لهذه الحقيقة وذلك بالاستجابة الى كلاً من الخوف الناشئ من اقضاء السنة واحياء الشيعة في العراق من جهة واستكشاف نتائج نمو قوة الشيعة في المنطقة من جهة اخرى.

وما لم يدرك صناع السياسة اهمية البعد الطائفي في السياسات الاقليمية ويفهموا كيف ان التغييرات في العراق تؤثر على المنطقة الاوسع فان امريكا ستخطئ في اصابة الهدف.

ان التوتر الطائفي قد يؤدي الى مستقبل بغرض لعلاقات الولايات المتحدة مع دول المنطقة والى اهداف مرتبكة للسلام، والاستقرار والتحويلات التقدمية لبلدان وشعوب الشرق الاوسط الكبير.

### التراث الشيعي الاقليمي:

يبلغ عدد الشيعة في العالم حوالي (١٣٠) مليون نسمة أي حوالي ١٠% من مجموع مسلمي العالم البالغ عددهم ١,٣ مليار نسمة والنسبة الاكبر من الشيعة (حوالي ١٢٠ مليون) تعيش في المنطقة الممتدة بين لبنان وباكستان حيث يشكلون غالبية عظمى في ايران ، البحرين، العراق، اندريجان واكبر الاقليات في لبنان. وتوجد اقلية غير معروفة العدد في الامارات الخليجية، والعربية السعودية، وباكستان

وافغانستان) وكذلك في الدول المجاورة لها مثل الهند، طاجكستان، شرق افريقيا).

٢- في المنطقة الممتدة بين لبنان وباكستان يطابق عدد الشيعة عدد السنة، اما في منطقة الخليج فان الشيعة هم الغالبية بوضوح. وباستثناء ايران فان المذهب السني هو الذي يمثل الشرق الاوسط منذ عقود طويلة خاصة في تحديد هوية الثقافة السياسية، العربية. ومن الاهوار في العراق الى كراتشي في باكستان كان الشيعة ضحية ضغوط وتهميش الانظمة السنية التي حكمت المنطقة ومجتمعاتها الغالبة. بعد قيام الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ تحرك الشيعة مبدئياً وانطلقت الهوية الشيعية وتززت جماهيرها لتتبع قيادة ايران وطالبوا بحقوقهم في المناطق الاخرى من المنطقة.

٣- ان الثورة الايرانية لم تساعد الشيعة على رؤية طريقهم الى السلطة فحسب ولكن قدمت لهم الدعم المادي والمعنوي والتنظيمي في نزالهم من اجل نيل حقوقهم وانبعاثهم.

وخلال السبعينات والسبعينات ناصر الشيعة القضايا الوطنية ونظروا الى القومية العربية والايديولوجية اليسارية كجسر فوق الطائفية والدخول في التيارات السياسية

٤- اما في الثمانينات فقد انضم الكثير منهم الى منظمات وحركات شيعية كثيرة مثل حركة امل في لبنان وحزب الدعوة الاسلامية في العراق وحزب الوحدة في افغانستان والحركة الجعفرية في باكستان. وهذه الاحزاب والحركات تلقت الدعم المالي والسياسي من ايران من اجل دفع الاجندة الشيعية الى الواجهة. وعلى سبيل المثال تمكن

الشيعة في باكستان وبمباركة من طهران من رفض قانون الحكومة الاسلامية لعام ١٩٧٩ باعتباره (سني) واستطاعوا الحصول على استثناء من القانون والذي ادى الى ان يعلن المزيد من الباكستانيين تشيعهم،

٥- كما دعم آية الله روح الله خميني بفاعلية مطالب شيعة باكستان بصورة علنية وهدد حكومة ضياء الدين العسكرية انه اذا ما اساء معاملة (شيعة خميني) فانه سيعامل ضياء الحق كما تعامل مع الشاه.

٦- اما في الهند وبعد صراع طويل بين السنة والشيعة في لوكناو نهاية الثمانينات صوت الشيعة الى حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي في انتخابات عام ١٩٩٠ منفصلين عن الغالبية المسلمة وذلك لحماية مصالحهم الخاصة. ان وضع الحكم الطائفي الايراني لم يقتصر على تحريك الاقليات الشيعية بل اصدر اية الله خميني ما يعرف بـ(فتوى)

والتي اقر من خلالها بشرعية الحكم العلوي (وهو من فروع الشيعة) في سوريا، والمرفوض من قبل الغالبية السنية والشيعة باعتباره خارجاً عن الاسلام، كما اعطت الفتوى لنظام حافظ اسد العلوي الذي يعتمد على سيطرة الاقلية العلوية الشرعية المطلوبة عندما كان تحت ضغط الاخوان المسلمين، والاهم من هذا رفضت طهران دعم الاخوان المسلمين عندما قمع نظام حافظ اسد بقوة انتفاضة الاخوان في حماة عام ١٩٨٢. ان المحور الايراني- السوري كان جزء من

الاجندة الايرانية الاوسع قدم هذا التحالف لايران التوازن المطلوب للوقوف امام التحالفات السنية في المنطقة العربية والتي دعمت العراق خلال الحرب العراقية-الايرانية، اذ قدمت سوريا دعماً دبلوماسياً وضغطاً عسكرياً لايران بوضع عدد من القوات العسكرية على الحدود مع العراق، وساعد هذا التحالف ايران على تاسيس حزب الله في لبنان وقدمت الدعم له للوقوف بمواجهة الوجود الامريكى في لبنان بين الثمانينات والتسعينات ونشر التأثير الايراني بين الشيعة في لبنان. وعلى الرغم من الانجازات التي حققتها الثورة الايرانية في وقت مبكر فلم تكن تهدد السيطرة السنية على المنطقة الا قليلاً. لقد فعلت الكثير لتقدم الشيعة على انهم قوة ثورية مضادة للغرب في حركة انبعاث السياسة الاسلامية اكثر مما قدمتهم كوسيلة لتقوية المجتمعات الشيعية. لقد فشلت الثورة الايرانية في تغيير ميزان القوى بين الشيعة والسنة عبر الاقليم، واخيراً تخلت عن محاولاتها هذه في نهاية الثمانينات، كما باءت بالفشل كل جهود ايران في دفع الشيعة سياسياً للسلطة في الخليج، وافغانستان وباكستان باستثناء حزب الله في لبنان. كما انتهى التحرك الايراني العسكري لتغيير نظام صدام حسين بالاندحار. وبقيت السيطرة السنية على المنطقة حية تقاوم الثورة الايرانية.

### رد الفعل السني:

تركز نمو الوعي الطائفي والفكر السني بعد الثورة الايرانية على احتواء التهديد الخميني في الشرق الاوسط الكبير وامتداده.

ان الهوية السنية شكلت حصناً منيعاً ضد تحدي الاسلاميين والمرتبطين في ذلك الوقت بشيعة ايران. ومنذ الثمانينات، قامت الحكومات التي تصبغ نظام حكمها بالصيغة الدينية من نايجيريا الى اندونيسيا وماليزيا بالاعتماد على الهوية السنية لوضع اسفين واضح بين السنة والشيعة داعية الاولى بالاسلام الحقيقي. وحكوماتهم كمدافع عنه، والثاني رمزاً للتطرف، وقد اعتبروا خميني قائداً شيعياً اكثر منه قائداً اسلامياً وقللوا من قيمة أفكاره، ففي عام ١٩٩٨ اتهمت حكومة الجنرال ساتي اباجا في نيجيريا رئيس جماعة الاخوان المسلمين شيخ ابراهيم الاكزاكي بكونه شيعياً وذلك قبل محاكمته بتهمة القيام بنشاطات معادية للحكومة. وفي ماليزيا القت الحكومة القبض على ناشطين اسلاميين بذريعة كونهم شيعة كي تتجنب الظهور امام مواطنيها كحكومة معادية للناشطين الاسلاميين بل ظهرت بصورة الحامية للسنة من الاعمال المعادية لهم.

اما في الهند وباكستان فان رجال الدين السنة اعتبروا خميني وصراعه مع آل سعود في الثمانينات نوع من الفتنة التي تفرق المسلمين في المجتمع الاسلامي

٧- وقد فسر الصراع بين نظام الحكم السعودي وخميني كصراع بين الشيعة المتمردون والسلطات السنية والذي اعاد الى الازهان الثورة الشيعية ضد الخلافة الاموية والعباسية في اوائل التاريخ الاسلامي والتي كانت السلطة فيها للسنة في المراكز الدينية والسياسية في العالم الاسلامي. وقد قدم هذا

دعماً كبيراً لادعاء الملك فهد بن عبد العزيز في الحق التاريخي والديني كحامي للمواقع المقدسة في مكة والمدينة (الواقعة في العرين السعودي) وبهذا أصبحت السعودية المدافع عن السنة ورمزاً لمقاومة الشيعة المعتصبيين. كانت الدوافع التي حركت السعودية للقيام بهذا الدور هو السيطرة على الاقلية الشيعية الموجودة داخلها والتحدي الخميني الذي شكك في شرعية المملكة. ان الصراع السنى- الشيعى على روح الاسلام ومركزه نراه واضحاً منذ بدايات العهد الاسلامى والذي عاد الى الواجهة فى اواخر القرن العشرين عن طريق المملكة العربية السعودية التي ادعت حقها فى حكم الاسلام والمسلمين حكماً سنياً مشابهاً للدور الذي كان موجوداً فى الخلافة السنية وهى تحكم من دمشق الى بغداد.

وفي المجتمعات الشيعية في باكستان والكويت والبحرين والسعودية والعراق والتي كانت تهدد الانظمة السنية كان رد فعل الحكومات سريعاً وعنيفاً وجميع الحكام من ضياء الحق في باكستان الى صدام حسين في العراق لم يؤكدوا هويتهم السنية لحكمهم وبلدهم ضد الظهور الخميني فحسب ولكن استخدموا العنف الطائفي لجعل المجتمعات الشيعية تعود الى وضعها الاصلي. وبهذا الخصوص وعلى سبيل المثال قام صدام بعمليات ابادة للشيعة مستخدماً الجيش وحزب البعث والمرتبطة اسمه بالاعدامات والاغتيالات والقتل الجماعي. ففي عام ١٩٩١ وحده قام بقتل ٣٠,٠٠٠ شيعياً عراقياً.

٨- اما في باكستان فأدت دورة الانفجارات والاغتيالات الناجمة عن الصراع الشيعي- السنى وخلال الثمانينات والتسعينات الى ٩٠٠٠ حادثة تبادل اطلاق نار في الشوارع، وعنفا طائفيًا،

٩- كما ادت حوادث عام ١٩٨٩ الى مقتل حوالي ٢,٠٠٠ شخصاً، وخلال خمسة ايام ادت الاحداث في شمال غرب الباكستان عام ١٩٩٦ والتي استخدمت فيها اسلحة الموتور، والصواريخ الى قتل حوالي ٢٠٠ شخصاً. وما بين شهري كانون الثاني-آيار في عام ١٩٩٧ قامت الجماعات المسلحة من السنة باغتيال ٧٥ شخصية من قادة الشيعة في محاولة لابعاد الشيعة عن مراكز السلطة وحتى ايلول من عام ٢٠٠١ كانت القوات الباكستانية تدعم الجماعة المسلحة السنية كجزء من سياساتها في المنطقة وفي افغانستان وكشمير وحتى بعد الهجمات، استمر الدعم لهذه الجماعات ولكن بحذر اكبر من قبل وذلك لتستطيع باكستان حماية مركزها في جنوب افغانستان وكشمير وارضاء المطالب العالمية بوقف النشاط الجهادي. فعلى سبيل المثال ، عزام طارق الذي كان قائداً لجيش الصحابة والقائد الاكثر معاداة للشيعة في البلد والمرتبطة ارتباطاً قوياً بتنظيم القاعدة وطالبان كان الحليف الاسلامي الاكثر اهمية وبروزاً للجنرال برويز مشرف حتى اغتياله عام ٢٠٠٣. ان محاولة الشيعة الحصول على سلطة اكبر جنوب اسيا بائت بالفشل نتيجة الدعم الذي تقدمه القوات العسكرية الباكستانية للجماعات المسلحة المرتبطة بها والفتاوى التي يقدمها علماء

عائدات النفط قام قادة رجال الدين السعوديون بتصدير وجهة نظرهم فى الاسلام بدعم من المنظمات الاسلامية المختلفة ونشاطاتهم فى العالم الاسلامى، واصبح لها تأثير كبير واضحاً فى جنوب اسيا اذ كانت التمويلات السعودية تدعم المقاتلين الافغان ضد السوفييات الذين كانوا يحتلون افغانستان والتي انتجت البنية التحتية لشبكة الميليشيات العسكرية السنية التي نشطت فى طالبان والقاعدة والجماعات الجهادية الباكستانية.

وفى افغانستان وباكستان كانت مدرسة ديو باندي للاسلام التي قد جعلت ساحات مدارسها مراكز لتدريب القاعدة وطالبان والمنظمات والميليشيات الباكستانية والكشميرية واصبحت الوسيلة الرئيسية لنشر وجهة نظر الوهابية ضد الشيعة . ارتبطت الميليشيات المواجهة لميليشيات الطائفة الشيعية الموجودة فى باكستان ارتباطاً قوياً بطالبان والقاعدة مثل جيش (سباهي-صحابه) و(لشكار-جها نغمي) أي جيش جها نغمي الذين تخرجوا من مدارس ديوبا ندي وعلى اتصال دائم مع طالبان والمنظمات الارهابية مثل جيش محمد وحركة المجاهدين الناشطة فى كشمير والمسؤولة عن أنشطة ارهابية مثل مقتل مراسلة صحيفة وول ستريت جورنال دانيال بيرل. ويتدرب افراد( سباه ولاشكر) فى مخيمات القاعدة فى افغانستان. ولمؤسس لاشكار رياض بصره صلة وثيقة باسامة بن لادن وكذلك احمد رمزي يوسف، العقل المدبر وراء الهجوم الاول على مركز التجارة العالمية عام ١٩٩٣، متهم بتنفيذ تفجير احد

الوهابية لهم من المملكة العربية السعودية وحلفائهم فى الهند وافغانستان وباكستان والمتورطون بصورة منظمة بتفجير الجوامع الشيعية واغتيالات قادة الجماعات الشيعية ، وموظفي الحكومة من الشيعة ورموز الدين خاصة فى باكستان خلال التسعينات. وفى حادثة، فى آذار ٢٠٠٤ قُتِل حوالي ٤٣ شيعياً فى كيوتا اثناء مراسم عاشوراء وفى نفس اليوم قُتِل ١٤٣ شيعي فى بغداد وكربلاء، وشكلت طالبان بؤر لافكارهم تستلم تمويلها من العربية السعودية تعكس وجهة نظر الوهابية وتدريب الميليشيات السنية الباكستانية لاتباع نفس السياسة فى افغانستان حيث قتل الشيعة فى مزار شريف عام ١٩٩٧ وباميان عام ١٩٩٨ واجبر الالاف منهم على الهجرة الى ايران وباكستان، وبعد ان استولت طالبان على مزار شريف عام ١٩٩٧ اعلنوا ان الشيعة ليسوا مسلمين وغير مرحب بهم ومنحوا الشيعة خيار التحول الى المذهب السني او الهجرة الى ايران او ان يكون مصيرهم كمصير الـ ٢,٠٠٠ الذين قتلوا سابقاً.

### العربية السعودية والوهابية

ان الاعتداءات السنية على الشيعة مدعومه مباشرة من المملكة العربية السعودية، والوهابيين وشبكة الارهابيين المرتبطة بهما خاصة فى افغانستان وباكستان. ان الوهابية هى مدرسة متعصبة ضمن المذهب السني والتي لها تفسير ضيق ومتشدد للاسلام ويعتبرون كل من لا يفسر الاسلام وفق مفاهيمهم كافراً وخصوصاً الشيعة منهم ومنذ السبعينات وعندما استفادة السعودية من ارتفاع

بغزو جنوب العراق وقاموا بانتهاك حرمة الاماكن المقدسة في كربلاء ١٨٠١ وفي خلال الثمانينات والتسعينات اصدر علماء الوهابية فتوى تصف الشيعة بالرافضة (الذين يرفضون حقيقة الاسلام) او بالوثنيين، ولقد اخذت نشاطات الاخوان المسلمين وعلماء ديوناندي في الهند وباكستان بهذه الفتوى لارتباط افكارهم الوثيق بافكار الوهابية وبرروا من خلالها اعمال العنف ضد الشيعة كما اخذ طالبان بهذه الافكار التي اتمست بها مذابحهم للشيعة في مزار شريف عام ١٩٩٧ باعتبارها (انتقام الحق). ان معادات الوهابية للشيعة كانت موافقة تماماً لسياسة السعودية في المنطقة لكي تحتوي الثورة في ايران ١٩٨٠. وعلى امتداد العقدين الماضيين كانت الرياض واتباعها من السنة تعتبر تحديات خميني لآل سعود كاعتداء من الشيعة على السنة، وفي هذه المواجهة الطائفية استقر ولاء السنة للرياض، وابدى كثير من الدول ولائهم للملكة من اجل اثبات الهوية السنية للمنطقة لاغير.

وقامت الرياض بدعم نظام صدام اثناء الحرب على ايران واستمروا في الدعم حتى غزا العراق الكويت عام ١٩٩٠. وحتى بعد تحرير الكويت قامت السعودية باقناع واشنطن بالتوقف عن دعم انتفاضة الشيعة عام ١٩٩٨ ضد نظام في جنوب العراق وطلبوا منهم دعم الحكم السنى في بغداد. وفي لبنان دعمت السعودية السنة لاعادتهم الى الصدارة وذلك من خلال حكومة رفيق الحريري ولازالت تدعم وبقوة المؤسسات السنية في بيروت الى اليوم.

الاماكن المقدسة للشيعة في مشهد ، ايران عام ١٩٩٤.

ان الميليشيات السنية في جنوب اسيا هي من صنع نفس المجاميع المتدربة في افغانستان مثل مشاة عرب القاعدة. وتتفرع هذه الميليشيات تنظيمياً وايديولوجياً من مركز الوهابية الذي يربط القوى الطائفية بالارهاب السني العربي. ان العداء الطائفي ضد الشيعة هو احد الابعاد المهمة للاهداف السياسية لطالبان والقاعدة والذي القي بظلاله المعتمنة على حربهم ضد الغرب. كما حارب السنة الباكستانيون وطالبان والقاعدة مجتمعين في حملات عسكرية في افغانستان وعلى وجه الخصوص في مزار شريف باميان عام ١٩٩٧ وهم متورطون في قتل الشيعة قتلاً جماعياً وعلى نطاق واسع. ومعظم عمليات القتل ضد الشيعة قام بها افراد جماعة جيش الصحابة خاصة ضد الايرانيين عندما قتلوا دبلوماسياً ايرانياً واسروا القنصل الايراني. وسيتبع المقاتلون السنة في العراق نفس المصادر التنظيمية والايديولوجية الخارجية للميليشيات السنية التي تطورت خلال العقد الماضي والتي تختفي في المجتمع والسياسة في الشرق الاوسط الكبير مع الاحتفاظ بعلاقات طائفية مع مصادرها الاصلية في افغانستان وجنوب اسيا.

نشأت الحركة الوهابية فى شبه الجزيرة العربية فى القرن الثامن عشر وهى تسيطر على معتقدات السعودية وامارات الخليج الساحلى. ان عدائهم للشيعة قديم قدم تاسيس هذا المذهب. فقد قام الجيش الوهابى



وفي الاماكن الاخرى ، جندت السعودية استراتيجيتها لاحتواء الشيعة بالعمل الوثيق مع علماء الوهابية لبناء شبكة من المدارس العليا والجوامع والمعاهد والخطباء والنشاطات والكتاب والصحفيين والاكاديميين لتأكيد الهوية السنية ناشرة اياها عبر الشرق الاوسط الكبير وباتجاه الوهابية والقتالية لتكون اسفناً بين المسلمين الشيعة والسنة وتثبيط تأثير الايدولوجية الايرانية، وكما كتب احد المراقبين عن حالة الصرف المالى على مدارس الاعداد القتالي في باكستان عام ١٩٨٠ قائلًا " اذا نظرت الى معظم مابنى من المدارس لادركت انهم يشيدون جداراً عازلاً لايران عن باكستان.

ان هدف ال سعود هنا، هنا هو توسيع هذا السياج من شمال باكستان عبر افغانستان وحتى مركز آسيا. وكذا الحال في ازبيجان. سعت السعودية الى ايجاد موقع مهم لها عن طريق بناء مساجد ومؤسسات دينية مراكز تقوية الوعي السني في بلد كانت الهوية الطائفية قد غابت عنه في الماضى ولكنها بدأت بالظهور ثانية. دعم النظام السعودى الناشطين الاسلاميين خلال الثمانينات والتسعينات من الطائفة السنية. ان انتشار التطرف الاسلامى فى وسط آسيا والقوقاز فى التسعينات من القرن الماضى لم يأتى عن طريق ايران بل عن طريق السياسة السعودية لاحتواء ايران فى المنطقة. وليس هذا مشروعاً اسلامياً بقدر ما هو مشروعاً سنياً

بجناً، لذلك فليس من المحتمل ان الميليشيات السنية تبقى مكتوفة الايدي بخصوص التوازن الطائفى فى العراق.

ان التمويل السعودى للميليشيات السنية لم يثر اهتماماً كبيراً فى الغرب بل العكس فقد كان الغرب يعتبر ايران والميليشيات المرتبطة بها هى الوجه الخطر الاكبر للاسلام الذى يهدد مصالحها. ان ازمة الرهائن فى ايران عام ١٩٧٩ وتفجيرات مقر المارنز والقوات الفرنسية فى لبنان واخذ عدد من الرهائن الامريكى والاوربيين فى لبنان كذلك خلال الثمانينات ودعم ايران للارهاب خلال هذه الفترة ايضاً ومعظم التسعينات كل هذا قد ركز اهتمام الغرب على ايران والميليشيات الشيعية وبذلك اقترن اسم الشيعة بالمعاداة للمركبة وبالثورة ، والارهاب، واخذ الرهائن، والعمليات الانتحارية. ان الاندفاع السياسى الشيعى المنبعث من طهران ونوع العنف الذى كان يرتكب كان يعتبر امتداداً لمعتقدات الميليشيات القدرية واحتفالات الشهادة.

وبالمقارنة ، ظهرت النشاطات الاسلامية السنية اقل تهديداً. لذا نظر الغرب اليهم باعتبارهم اكثر تحفظاً اجتماعياً وسياسياً مع افتقارهم الى المبادئ الدينية التى توازي اندفاع الميليشيات الشيعية. وخلال الثمانينات بدا الغرب اكثر تساهلاً مع النشاطات السنية بصورة عامة وكذلك مع انتشار الحركات داخل افغانستان بامرة طالبان وعبر وسط آسيا.

بعد وفاة خمينى عام ١٩٨٨ توقفت الميليشيات الشيعية عن كونها القوة الايدلوجية التى طبعت النشاط الاسلامى بطابعها. وبدلاً من ذلك اخذت الميليشيات السنية هذا الدور بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ التى ادخلت الولايات المتحدة بصراع مباشر مع بلد عربى واسست حضوراً عسكرياً امريكياً فى المنطقة وخصوصاً فى العربية السعودية وقرب الاماكن المقدسة للمسلمين فى مكة والمدينة. وهكذا بدا ان تهديد المصالح الغربية انبثق مع انتشار التشيع عقب الثورة الايرانية، لذا كان الغرب بطيئاً فى ادراك التغيير الحاصل فى المد الاسلامى ونمو شبكة الميليشيات السنية التى وان كانت قد أسست لاحتواء النشاط الشيعى الا انها بدأت بالتحول الى تعصب تجاه الغرب.

وعلى الرغم من ان احداث ١١/ايلول واستخدام التفجيرات الانتحارية من قبل حماس والجهاد الاسلامى فى اسرائيل وبشكل واسع اخذت دوراً كبيراً فى تحول انظار الغرب الى التهديد الناشئ من الميليشيات السنية الا انها كانت فى الحقيقة تنمو فى المنطقة خلال العقدين الماضيين او على الاقل ابتداء ان لم يكن رئيسياً كاستجابة لنشاطات الشيعة التى اعقبت الثورة الايرانية ، فى ذلك الوقت انبعثت الميليشيات السنية لادامة توازن القوى لصالح السنة فى المنطقة ، غير ان سقوط صدام قد غير بشكل جاد هذا التوازن. ان احتلال العراق جاء متماشياً مع انبعاث الثقافة الشيعية فى هذا البلد. ان احتفالات اربعينية الحسين (ذكرى مرور ٤٠ يوماً على استشهاد

الحسين امام الشيعة عام ٦٨٠م) فى كربلاء فى مايس ٢٠٠٣ باشتراك مليونين شيعى اظهر بوقت مبكر حقيقة ان العراق اليوم قد اصبح بلداً شيعياً. ان نمو ظهور الشيعة فى العراق واضح تماماً فى تشكيلة مجلس الحكم وما (الفيثو) الذى اتخذه ، فيما بعد، آية الله على السيستانى على محاضر جلساته الا دليلاً اضافياً على هذا التغيير الكبير.

### تحديات عراق شيعى

منذ ازاحة الولايات المتحدة صدام عن السلطة قام المرجع الكبير السيد على السيستانى وبالجاح، بالضغط على الولايات المتحدة لاجراء انتخابات فى العراق لضمان سيطرة الشيعة على العراق ولاول مرة منذ عهد الامبراطورية العثمانية السنية فى بغداد عام ١٥٣٣، وعلى الرغم من ان شيعة العراق لا يتكلمون بصوت واحد فان السياسيين الشيعة، وثقافتهم وقيمهم الدينية اكثر من تلك التى عند سكان العراق من السنة والكرد وهذا ما سيشكل مستقبل العراق.

سيكون العراق البلد العربى الاول الذى يصبح شيعياً بشكل مفتوح من بين كل البلدان العربية. والعراق واحد من اكثر البلدان العربية اهمية- لانه يذكر بالقيادة العربية ومركز الامبراطورية العثمانية (٧٥٠-١٢٥٨)، التى اسست ودعمت التفوق السنى وقمعت الشيعة بوحشية (العديد من رجالهم البارزين قتلوا من قبل العباسيين داخل بغداد ولهم اضرحة مقدسة فى العراق) ان الانتقال من سيطرة السنة الى سيطرة الشيعة وتحت وصاية الولايات المتحدة له دلالة ذات مغزى.

بعد سقوط العباسيين اصبحت الارض التي تأسس عليها العراق الحديث تنتقل من يد محتل الى آخر ومنها الامبراطورية الصفوية الفارسية . في عام ١٥٣٣ دمر الجيش العثماني الصفويين واحتل بغداد واعاد السنة الى المنطقة . كان الاحتلال العثماني طائفيًا بشكل واضح لان العثمانيون سنة بينما كان الصفويون شيعة وكان كلاً منهم يدعي تمثيله للعالم الاسلامي. لذلك فان العصبية الطائفية الدينية كانت تظهر عقب كل نصر عسكري. ان انتصار العثمانيين ادى الى هيمنة سياسية سنية طويلة الامد استمرت على مدى حكم الملكية الشرفية (١٩٢١-١٩٥٨) والحكم القومي ثم فترة حكم البعث التي اعقبته. ان الهيمنة السنية في هذه المنطقة عكست الاضطهاد التاريخي للشيعة حيث منعوا من تعبيرهم عن ثقافتهم ونكران حقوقهم السياسية ومن ثم رفض الشرعية الدينية لمذهبهم. ان السيطرة السياسية للشيعة على عراق اليوم من قبل العلماء يعنى ان انبعاث الشيعة في هذا البلد سيؤدي الى تغيير ثقافة البلد ومكانة الدين فيه مما قد يؤدي الى احتقان في العلاقات بين الشيعة والسنة داخل العراق كما في المنطقة ككل .

فمثلا من المحتمل ان تحدد التعاليم والنظريات الشيعية الى أي مدى سيلعب الاسلام دوراً في سياسة العراق وهذا يعني ضمناً رفض السنة للعيش بقوانين الشيعة. ان ادخال الفقه الاسلامي الشيعي فيما يخص ضرائب الاسرة والمواريث والتجارة في القوانين العراقية سيكون موضع ترحيب من

قبل الشيعة والعكس صحيح بالنسبة للسنة وسيكون بمثابة تأكيد اكثر مما هو الغاء الهوية الطائفية.

واعتماداً على التشكيلة الحالية للسلطة في مجلس الحكم العراقي وضمن المجتمع الشيعي فمن المحتمل ان يكون احد المراجع الدينية هو الرئيس المستقبلي للبلاد، والمرشح الرئيسي الحالي هو المرجع عبد العزيز الحكيم، رئيس اهم المنظمات السياسية الشيعية وهو (المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق)، ان احتمال حكم العراق من قبل مرجع ديني سيؤدي الى جمهورية شيعية اسلامية في العراق مشابهة لما موجود في ايران. والاكثر اهمية، على كل حال، هو ادخال مثل هذه النتائج في الصراع الطائفي. بالنسبة للسنة في العراق والسنة في الجوار من الاقطار العربية، فان المجلس الاعلى للثورة الاسلامية ومنظمة بدر قوة من ١٠,٠٠٠ رجل تدربوا على يد حراس الثورة الايرانية لمقاتلة نظام صدام. تشبه الى حد كبير الميليشيات الشيعية في لبنان، امل وحزب الله مما قد يؤدي الى اعادة صورة ما حدث من الحرب الاهلية في لبنان. ان استعراض القوة الاخير لاكثر الميليشيات قوة وهو جيش المهدي التابع لمقتدى الصدر قد عزز هذه الرؤية. ان اغتيال القائد الشيعي اية الله محمد باقر الحكيم بسيارة مفخخة مع ١٢٥ شخصاً اخرين خارج اقدس الاضرحه في آب الماضي ٢٠٠٣ وفي كربلاء وبغداد في اذار ٢٠٠٤ لا تؤثر الى تفجر الاستقرار والامن في العراق فحسب بل قد تفتح ابواب الصراع

الطائفي في الاقليم الاوسع. ان محو صورة هذه الاحداث ليس بالامر الهين بالنسبة للتحالف التكتيكي بين الشيعة والسنة لمقاومة الاحتلال الامريكي. وربما اتخذت الطائفية جسراً لمقاتلة الولايات المتحدة ولكنها ستطفو على السطح ثانية بعد الاحتلال.

### المضامين الاقليمية

ان انبعاث الشيعة في العراق له تأثيراً اقليمياً واسع ليس على التطور السياسي في العراق فحسب بل على مستقبل التطور الطائفي في الشرق الاوسط الكبير ليميل ميزان القوى لصالح الشيعة. ان الروابط الثقافية والدينية التي تربط السكان الشيعة من لبنان الى باكستان ستكون ذات اهمية سياسية مرة ثانية. بعد عقدين من الزمن هيمنت الانظمة السنية فيه عاد الشيعة ثانية ليطالبوا بحقوق اكبر ويتبوأ مكانهم على المسرح السياسي.

في المملكة العربية السعودية، اضهد النشاط الشيعي السياسي بعنف منذ ١٩٧٩ وهو بازدياد. وهناك منظمات مثل حزب الله السعودي، وتجمع العلماء في الحجاز.

والحركة الاصلاحية تطالب جميعها بالحقوق الدينية والسياسية للشيعة من الحكومة الملكية.

ان الروابط الدينية والتنظيمية بين الحوزات والمدارس الدينية الشيعية في ايران وفي العراق تكفي لتكون الشاهد الاكبر على الروابط المتينة بين شبكة المراجع وممثلهم وتنظيمهم وتمتد هذه الحوزات والمدارس من لكانا في الهند الى زنجبار وتانزانيا

وديربورن ومشغن. ان فتح العراق والتغيير التدريجي في ايران سيقوي الروابط مع مركزي قم والنجف ، حيث ان رياح التغيير في المنطقة التي تعد بها الحملة في العراق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببايس المجتمعات الشيعية وتنظيماتها. ان رحلة النصر التي قام بها الرئيس الايراني محمد خاتمي الى لبنان بعد فترة قصيرة من سقوط بغداد قد رتبت لتؤشر على اهمية هذه الروابط والتي اصبحت اكثر وضوحاً بحضور ١٠٠,٠٠٠ زائر ايراني الى كربلاء في آذار الماضي لحضور مراسم عاشوراء. وكذلك من الدلالات الواضحة على تزايد بروز الشيعة عبر الشرق الاوسط بعد تغيير النظام في العراق هي دعوة ولي العهد السعودي الامير عبد الله في صيف ٢٠٠٣ لتجمع علماء السعودية للبحث عن ارضية مشتركة بين القادة الدينيين الوهابيين والشيعة في المملكة. في السنوات القادمة ستتاح للشيعة الفرصة اكثر من أي وقت مضى من التاريخ الحديث ليعودوا قوة اقليمية مرة ثانية.

### تأثيرها على المصالح الامريكية في

#### المنطقة

بالنسبة للمليشيات السنية ، يعتبر انبعاث الشيعة في العراق دليل على مقاصد الولايات المتحدة الشريرة تجاه الاسلام بعد احداث ١١/١١/٢٠٠١ - المؤامرة الكبرى لاضعاف واخضاع المؤمنين. ولهذا الغرض سحبت الولايات المتحدة العراق من ايدي الاسلام (الحق) وسلمته الى الشيعة الراضية. ان المشاعر الطائفية تجاه احتلال الولايات

المتحدة للعراق تشكل بعداً مهماً لرد الفعل في العالم العربي وخارجه وخصوصاً بين قوى الميليشيات السنية التي تزداد في ظهورها كتعبير عن احباطات السنة واضعاف قوتهم وهذا امرأ لم تعره الولايات المتحدة الاهتمام المناسب واكثر من ذلك، ينبغي اعتبار الخطب الطائفية الحماسية المعادية للشيعية والمعادية للامريكان من مصادر مفاهيم السياسة الامريكية في العالم الاسلامي وخصوصاً في الاقطار العربية حيث يمكن رؤية حرب الولايات المتحدة في العراق بشكل اكثر وضوحاً.

كتب ميشيل سكوت دوران ان علماء الوهابية في العربية السعودية لازالوا مستمرين باصدار الفتاوى للطعن بمعتقدات الشيعة وممارساتهم باعتبارها بدع، وزيادة على ذلك اصبحوا يربطون الشيعة بمعاداة امريكا، ويصورون الشيعة على انهم "الطابور الخامس لاعداء الإسلام الحقيقي... خطر هرطقة الشيعة على المنطقة... انها ليست اقل خطراً من اليهودية والنصرانية" لقد اعتبرت الحرب على العراق الدليل على "الروابط القوية بين امريكا والهرطقة الشيعية" ان لغة علماء الوهابية في العربية السعودية هي ترديد للكلام الذي تتبناه طالبان في افغانستان والقوى المسلحة السنية في باكستان حيث يهددون الاقلية الشيعية في المملكة السعودية به. ان انبعاث الشيعة في العراق عرض للخطر المصلحة الامريكية في استقرار المملكة السعودية حيث لايمكن للرياض ان تدعي لنفسها- بعد الان حمايتها للسيطرة السنية في

الشرق الاوسط لانها تشهد هبوطاً في شرعيتها الدينية ضمن المملكة مثلما عبر المنطقة. وبدلاً من ذلك فان القاعدة والمقاومة العراقية صارت تلعب هذا الدور، ولاتستطيع الاسرة الملكية الحاكمة ان تقف بسهولة موقف المدافع عن تراجع قوة السنة في المنطقة دون دعم مباشر لقوى المقاومة لدور الولايات المتحدة في العراق. ان انبعاث الشيعة في العراق غير من ميزان القوى بين السنة والشيعة ويغذي طلبات حقوق الشيعة من جهة كما يغذي احباطات السنة ونشاطاتهم من جهة اخرى اكثر من احرازه للديمقراطية والازدهار الذي قد يشجع على تغييرات في انظمة اخرى في المنطقة.

ان الولايات المتحدة تسير على خط واهن في تعاملها مع البعد الطائفي في احتلالها للعراق وينبغي ان تكون واعية الى هذه المسألة فمن المحتمل ان تمتد الى خارج السياسة العراقية. اليوم تشكل الميليشيات السنية والنشاطات الوهابية وليست الثورة الشيعية الخطر الاكبر على المصالح الامريكية في مناطق مثل ازبيجان حيث يتواجد الشيعة والسنة، يقوم المسلحون السنة بادارة العنف وايدولوجية القوة ليس ضد الشيعة فقط بل ضد الامريكان ايضاً. من بالي (اندونسيا) الى بغداد شبكة نشاطات تشكل اخطر اشكال الارهاب.

تسيطر آيدولوجية القاعدة وسياساتها على الميليشيات السنية ولكن هذه الحركة توسعت بشكل كبير خارج حدود القاعدة.

ومن جهة اخرى اخذت قوة نشاطات الثورة الشيعية الرئيسية بالانحسار فايران الان ، نظام دكتاتوري واهن وعلى وشك الانهيار، الافكار التي انبعتت من ايران الحديثة- اليوم تشبه تلك الافكار التي ميزت نهاية الحقبة السوفيتية فهي لا تتبع حمى الثورة ولكن تطالب بتغييرات ليبرالية.

لما كان للمليشيات السنية مفهوم معادات الامريكان فقد توالد منهم اقوى انواع العنف الذي مصدره القاعدة. اليوم، كما نرى من نهج علماء الوهابية ومليشياتهم مثل الزرقاوي، ان لهذه المليشيات السنية هدفان الاول القضاء على التأثير الامريكى بالنسبة للشرق الاوسط الكبير والثاني اعادة الهيمنة السنية عليه. وهذان الهدفان مترابطان مع بعضهما. فكما سهلت الولايات المتحدة من سيطرة الشيعة بازالة الدكتاتورية السنية في العراق فبدحر الولايات المتحدة في العراق يمكن قلب معادلة الشيعة في ذلك البلد والمنطقة الاوسع. ورسالته الاخيرة اشار الزرقاوي الى الشيعة " بالعقبة الكؤود، الافعى المتربصة، العقرب المؤذي، العدو الجاسوس والسلم القاتل" وازاف "نحن هنا في العراق ندخل الحرب على مستويين. الاول واضح وصريح هو عدو مهاجم ووثني واضح وفي آخر بيان مسجل اذيع له اطلقه اثناء العمليات العسكرية الامريكية في الفلوجة وضد جيش المهدي. كرر الزرقاوي كلامه واتهاماته ضد الشيعة مع التهديد ضد القوات الامريكية. ان التفجيرات في كربلاء والنجف والاماكن الشيعية المقدسة الاخرى اوضح دليل على ان

المليشيات السنية قد خطت لمقاتلة كلا من الانبعاث الشيعي واثارة الحرب الاهلية الطائفية في العراق لارباك مخططات الولايات المتحدة تجاه هذا البلد.

ولهذا السبب ايد الزعيم الايراني اية الله علي اكبر هاشمي رفسجاني دعوة مقتدى الصدر الى الوحدة السنية- الشيعية في مواجهة الاحتلال الامريكى وذلك لتشجيع جيش المهدي في جنوب العراق ولتسميته بالبطل بينما سمي التمرد بالفلوجة بالارهاب.

### **المضامين السياسية: القبول بالطائفية**

من الامور المهمة الحديث عن السكان الشيعة في الشرق الاوسط وجنوب اسيا وظهورهم على انهم الحلفاء الطبيعيون للولايات المتحدة في جهودها لاحتواء المليشيات السنية. ولكن لازالت الولايات المتحدة لاتستطيع احتضان انبعاث الشيعة بصراحة دون اغضاب الكثيرين في العالم العربي، وخصوصاً اولئك الاكثر معادات للشيعة من الدول الوهابية في شبه الجزيرة العربية والخليج مثل الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة، حيث تكمن حالياً مصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية المهمة . هذا من جانب ومن جانب اخر ليست الشيعة على استعداد لاحتضان الامريكان باعتبارهم منقذهم وحلفائهم. ان القوى الشيعية في العراق اليوم مثل مقتدى الصدر يتحالفون مع الاخرين ضد الولايات المتحدة. ان افتقار واشنطن للعلاقات مع قوى شيعية مهمة اخرى في المنطقة مثل الجمهورية الاسلامية في ايران وحزب الله في لبنان تضيف تعقيدات

أخرى للترابط الشيعى الامريكى. ان الصراع الطائفى على السلطة سوف لن ينتهى فى العراق، وان الولايات المتحدة لاتستطيع بسهولة اجتناب هذا الصراع المستمر مع عقدها تحالفات طويلة الامد مع العربية السعودية، والاهم دورها فى تسهيل تقوية الشيعة فى العراق. على صناع السياسة فى واشنطن ان يتعاملوا مع الصراع الطائفى على السلطة بين الشيعة والسنة بصورة جدية لتجنب حرب اهلية فى العراق وظهور الميليشيات السنية باعتبارها تهديداً جديداً فى المنطقة. ان سياسة ناجحة للولايات المتحدة فى العراق وبالتالي فى الشرق الاوسط الكبير ينبغى ان تعتمد على استراتيجية جامعة للعوامل التالية:

\* - ادراك ان التوازن الشيعى - السنى هو مفتاح استقرار المنطقة ومصالح الولايات المتحدة. ان الصراع على السلطة سيكون صاحب التأثير الاعظم والواحد على مستقبل السلام والاستقرار من جنوب اسيا الى ليفانت - المنطقة التي تربط مركز اسيا بالقوقاز ثم بالخليج وهي المناطق ذات الاهمية العظمى لمصالح الولايات المتحدة فى جهودها لاستمرارية الديمقراطية والنمو الاقتصادي. ان ميزان القوى المتغير بين الشيعة والسنة سيكون امراً مركزياً فى النتائج السياسية ليس فى العراق فقط بل فى لبنان، افغانستان باكستان ازربيجان والعربية السعودية. ان تطور الاحداث فى العراق سيؤكد هذا التوجه فى السنين القادمة. ان سياسة الولايات المتحدة ينبغى

ان تذهب الى ابعد من كونها محددة بالحرب على الارهاب والى ابعد من التحالفات الموجودة حالياً لتعكس البعد الشيعى - السنى فى سياسات المنطقة. وبناء عليه، ينبغى على الولايات المتحدة تنمية وتطوير سياسة خارجية ذات اطار يربط علاقاتها مع ايران ولبنان تبعاً لمصالحها فى العراق والخليج وجنوب اسيا وتسخير نمو القوة الشيعية فى المنطقة. ان سياسة بهذا الاطار ستؤدي الى ترابط سياسة الولايات المتحدة نحو العراق بالشرق الاوسط الكبير، وتضمن الاستقرار الاقليمي فى وقت اضطرب فيه توازن القوى السياسى طويل الامد فى المنطقة نتيجة حرب العراق.

\* - تجنب المواجهة مع شيعة العراق والاكثر اهمية، السيستاني. ان طلب السيستاني انتخابات مباشرة يحمل فى طياته المزيد من التهميش للسنة كما يشكل مستقبل الحكومة المدنية فى العراق. ومع ذلك فان النظر الى الشيعة وخصوصاً منهم الاصوات الاكثر اعتدالاً يحمل فى طياته مخاطر اعظم كما هو الحال مع رجل الدين الاكثر اتباعاً السيستاني، فانه يحمل مفتاح الاستقرار فى مجتمع الشيعة فى العراق والاماكن الاخرى فى الشرق الاوسط الكبير. فينبغى استمرار وجود تأثير معتدل على الشيعة لابقاء الصدر وعداءه للامريكى فى موضع الدفاع عن النفس ولمنع الشيعة من الاستجابة لاستفزازات الميليشيات السنية كما حدث فى كويتا

(باكستان) بعد مهاجمة الميليشيات السنية. على الشيعة في وقت مبكر من آذار من عام ٢٠٠٤. ان السيستاني سيبقى محتفظاً بالشرعية السياسية، وهذا يعني ان على السيستاني ان يستجيب لتوجيهات الشيعة في طلب سلطة سياسية اكبر لا ان يظهر وكأنه يستجيب لدعوات الولايات المتحدة.

\*- ادراك ان البلدين الذين تسيطر عليهما الشيعة، ايران والعراق هما فى وضع افضل لتحقيق نمو اقتصادي وديمقراطى من جيرانهما من البلدان السنية. ايران والعراق هما الاكثر احتمالاً لتنفيذ هذه الاهداف من جيرانهما الدول السنية (فيما عدا تركيا). الدكتاتورىة التي كانت تسيطر على كلا منهما قد زالت، مما سيفتح احتمالات الديمقراطية في العراق، بينما تحرك المجتمع المدني متجاوزاً الايديولوجيات السياسية في ايران في كلا البلدين، لم تعد الشيعة تنتج الايديولوجيات السياسية التي تولدها البلدان السنية. فى العراق، استفاد الشيعة من سقوط نظام صدام وهم الذين سيرثون النظام السياسى من سلطة الولايات المتحدة على الاغلب كما وانهم الاكثر احتمالاً للاستجابة للديمقراطية من السنة الذين تتزايد سياساتهم لرفض السيطرة الامريكية على العراق. واكثر من ذلك، فان المناظرات الاكثر شمولية وحيوية عن مكانه الاسلام في عالم حديث وعلاقته بالنمو الديمقراطى والاقتصادي تجري بين المسلمين الشيعة وليس بين السنة (عدا ما يخص تركيا). ان

البلدان الشيعية التي لم تعد سياساتها تحت سيطرة ايدولوجية السلطة (الاسلاميين في ايران والقوميين العرب في العراق) من المحتمل ان يظهروا باعتبارهم في مقدمة رعاة الديمقراطية والاندماج في الاقتصاد العالمى وكذلك ان يلعبوا الدور الرئيسى في صلب التغيير الى العالم الاسلامى وفيما يخص مجمل المخاوف الحالية لصناع السياسة فى الولايات المتحدة من انبعاث السيطرة الشيعية فى العراق فان ما ينبغى فهمه هو ان هذه العملية ستتنتج تقارب فى المصالح بين الولايات المتحدة والشيعة اسرع مما يمكن ان تحدث بين الولايات المتحدة والبلدان السنية. كما ينبغى على صناع السياسة الامريكية ان ينظرو الى تسارع التغييرات الايجابية فى البلدان الشيعية على انه جزء من بروز الايمان الاقليمي الاكبر.

ومع ازدياد بروز الشيعة في العراق وعبر الشرق الاوسط الكبير فان الميليشيات السنية بقيادة القاعدة والمقاومة العراقية وحماس وطالبان هي بدورها في صعود. ان لها القابلية على التحول والتغيير الى قوة اكبر اذا ما نجحت حركة المعارضة الوهابية في العربية السعودية في تغيير المشهد السياسى للبلاد. ومع الحرب ضد الولايات المتحدة والشيعة ستعكر الميليشيات السنية صفو المنطقة بالعنف الطائفي في بحثها عن اساليب رفض كل من النظام الامريكى والتغييرات التي ادت الى تزايد بروز الشيعة.



ان تحديات الميليشيات السننية مصحوباً بوعود التغيير التي رافقت اعادة انبعاث التأثير السياسى للشيعه فى منطقه الشرق الاوسط الكبير توجب على الولايات المتحدة تفكيراً وسياسة جديدتين تجاه الاسلام وتحديات نشاطات الاسلاميين وهذا الفهم الامريكى الجديد ينبغى ان ياخذ بنظر الاعتبار تغيير ميزان القوى بين الشيعة والسنة فى الشرق الاوسط الكبير وكذلك العلاقات المتشعبة بين الولايات المتحدة والوهابية والشيعة. للعقدىن الماضيين كانت سياسة الولايات المتحدة قد تحددت بشكل واسع، بين رغبتها باحتواء تحدى سياسات الاسلاميين من جهة والى حكم انظمة مدنية (غير دينية) ومؤخراً الى اقامة حكم جماعى وديمقراطى من جهة اخرى. ان الضرورة الحالية لاحتواء الميليشيات السننية، على كل حال، ينبغى ان تقود الولايات المتحدة اكثر من أى ضرورة اخرى الى تصويب الموازنة بين سياستها فى العراق ومصالحها الاعم فى المنطقة.